

## حول القسم

لا شك<sup>(١)</sup> ان هذه اللحظة التي تقدمون فيها على إداء القسم للحزب هي لحظة خطيرة في حياتكم . فأنتم بالرغم من ان مجيئكم الآن الى الحزب يفترض انكم لم تكونوا في الماضي بعيدين عن فكرتنا، وان اشياء كثيرة مشتركة جمعتمكم بالحزب قبل ان تفكروا بالانتساب اليه . . بالرغم من هذه الروابط فان عملية الانتساب تبقى عملية خطيرة . اذ ان ثمة فرقاً هاماً بين ان يلتقي الفرد في كثير او قليل من النقاط مع مبادئ حزب من الاحزاب فتعجبه هذه المبادئ من بعض نواحيها ويروق له ان يشارك الحزب بين الحين والآخر في نضاله واعماله ، الا ان ذلك كله لا يكتسب صفة الجدوية الا عندما يقرر القرار النهائي بأن يربط مصيره بمصير هذا الحزب وهذه الحركة ، فلا يعود التقاؤه بالحزب التقاء عفويّاً تابعاً لهواه ولرغبته وللصدف ، ولا يعود التقاؤه بالحزب ومساهمته في بعض نضال الحزب من قبيل التبرع والهبة يقدمها لهذا الحزب الذي ليس هو منه ويستطيع بالتالي ان يمنع عنه هذه الهبة اذا اراد . بين هذه الحالة وبين الحالة التي ينتقل اليها الفرد بعد الانتساب فرق كبير، لأن في الحالة الثانية . . بعد الانتساب - لا يعود متطوعاً ومتبرعاً ، بل جندياً يقدم ما يعتبر انه مسئول عن تقديمه وانه اذا تأخر أو قصر في تقديمه فإنه يكون قد خان فكرته وخان وجوده .

والواقع ان العلة الاساسية في مجتمعنا العربي الحاضر هي فقدان هذه الجدوية في الارتباط ، ليس في الاحزاب فحسب إنما في كل الاعمال وفي كل التصرفات . هذا المجتمع الذي ما زال مائعاً وضعيفاً رخوياً لا يوحي بعد لأفراده بجدوية الحياة . لأن الحياة

(١) حديث خاص بالذين يتقدمون لاداء القسم الحزبي . ألقى عام ١٩٥٠ .

شيء جدي وخطير للغاية، وانه هو الخطورة بعينها. ان الحياة هي المسرح الوحيد المجال الوحيد - امام الانسان لكي يحقق انسانيته، لكي يحقق شخصيته، لكي يعبر عن جدارته بهذه الحياة، لذلك لا نرى في مجتمعنا بعد علائم الابداع وعلائم البطولة الا نادراً، لأن الابداع ولأن البطولة لا يأتيان الا من هذا الشعور، هذا الشعور العميق الذي يشعر معه الانسان بأنه مرتبط بشيء أساسي في الوجود، وانه مسؤول في كل لحظة من حياته عن اداء واجبه نحو هذا الارتباط.

المفروض اذن في الانتساب الى الحزب الا يكون استمراراً لحالة سبقتة. وانما ان يكون قطعاً وانهاء لتلك الحال وبدءاً وانطلاقاً الى حالة جديدة ونفسية جديدة ومستوى جديد. فالذين كانوا انصاراً واصدقاء للحزب يشاركون اعضاء هذا الحزب في بعض افكارهم وفي بعض اعمالهم. يجب الا يفهموا انهم عندما ينتسبون الآن للحزب انهم سيتابعون الطريق الذي كانوا يسرون فيه ولكن بجهد اكثر وبتفريغ اكثر وبعباء اكثر، لا يجوز ان ننظر الى الدخول في الحزب على انه استمرار للمرحلة السابقة مع تقوية وتنمية لها، وانما الاصح ان نحاول النظر اليه بأنه حالة جديدة يجوز ان تُعتبر نقيضاً للحالة السابقة.

فلقد ذكرت لكم بأن الحالة الاولى يصح اعتبارها انها تطوع وتبرع. والحالة الثانية - الحالة الحزبية - هي مسؤولية. وقد ندرك المقصد من هذا الكلام - من هذا التفريق بين الحالتين - اذا اعتبرنا بأن الاندفاع في فكرة وفي اتجاه تكون قوته بنسبة البعد عنه لا بنسبة القرب منه. بمقدار ما كنتم بعيدين عن فكرة الحزب واتجاهه بمقدار ما تشعرون بالظماً والجوع الى أن تشربوا هذه الفكرة وان تدخلوا الى اعمالها، وان تجسدوها في شخصياتكم وفي اعمالكم. وهل ثمة حاجة الى الاستشهاد بحوادث وشخصيات تاريخية؟ من لا يذكر مثلاً عمر بن الخطاب؟ الذي كان أكبر مناهض لدعوة الاسلام ولما انفتح قلبه لها اصبح أكبر عضد و أكبر دعامة فيها. وكان مناهضته السابقة لم تكن الا صورة معكوسة عن استعداده العميق لتقبلها. ولكنه استعداد اصيل لا يقبل السطحية ولا الزيف. ولذلك لم يشأ ان يقبلها دون تمحيص وتشكيك ومراقبة. وكان مناهضته كانت امتحاناً لهذه الدعوة. بل امتحاناً لنفسه. هل هو جدير بها؟ هل تتسع نفسه لها

ولعمقها ولجدتها؟ كان يمتحن نفسه . . . ولما أتم الامتحان أقبل عليها، وكان من المبرزين فيها.

وأمثلة أخرى قد تكون معروفة لديكم . ولكني لا أريد من هذا ان اقول بأنه يشترط في طالب الانتساب الى البعث ان يكون قد عادى الحزب وناهضه . انما اقصد ان طالب الانتساب الى هذا الحزب يجب ان لايعتبر مساهمته وقربه وميله الى الحزب مدة من الزمن شيئاً كافياً لكي يفهم دعوة هذا الحزب ولكي يرتفع الى مستوى المسؤوليات التي يتطلبها هذا الحزب ويرتبها على المناضلين من اعضائه .

والانتساب الصحيح الى أية فكرة . . . الى أي موقف جدي في الحياة هو أزمة ، ولا كالأزمات ، هو زلزال في النفس لا يأتي هيناً سهلاً ، لا يأتي تدريجاً ، لا يأتي وكأن المرء ما غير شيئاً من نفسه ، وبقي في مكانه . انما يأتي نتيجة أزمة في النفس ، نتيجة انقلاب . الانقلاب الذي يدعو اليه الحزب بذرته هي تلك التي تحدث في النفس عندما تكتشف دعوة هذا الحزب وفكرته .

وكل المستقبل العربي . . كل مستقبل الامة العربية متوقف على هذا الانقلاب في النفوس . . متوقف على هذه الأزمة العصبية . . على هذا الانتقال المفاجيء من حال الى حال . . على هذا الصراع النفسي الشديد بين حالتين : بين الحال العادية المألوفة التي لا تنتج الا الضعف والا الفساد ، وبين الحالة المرتقبة والتي ستكون نتيجة التمرد على كل ما هو عادي ومألوف ونتيجة توتر شديد وعصيب في الارادة وفي الشعور لاستخراج أعماق ما في نفوس العرب من أمكانيات غير متحققة ، أمكانيات مخنوقة ومهملة . ويتوقف على كل فرد منكم ان ينظر الى هذا الحزب احدى نظرتين ، وبحسب النظرة التي يختارها. يكون قد اختار نفسه وعبر عن نفسه وعن إمكانياته اكثر مما عبر عن الحزب وحقيقته .

ان واحدكم عندما ينظر الى الحزب بأنه حزب يضم الافراد ليتعاونوا، وليضموا جهود بعضهم الى بعضهم الآخر، هذه الجهود العادية التي ألفوها، وانه لا يطلب من الحزب اكثر من ذلك اي نظرة عددية . . نظرة كمية تفترض ان هذا الواقع هو واقع حسن لا ينقصه الا تجميع العدد، ويبقى الافراد كما كانوا لاغيرون شيئاً في نفوسهم

ولا في عقولهم ولا في إرادتهم . هذه النظرة الكمية السطحية هي واردة ويوجد كثيرون يتبنونها، ليس خارج الحزب فقط بل داخله . وهذا مناقض للحزب . وهذا ضعف يشكو منه الحزب ويجب ان يتخلص منه .

ونظرة اخرى انقلابية، هي ان الحزب لم يوجد لكي يجمع اعداداً . وانما لكي يخلق افراداً . والخلق تبديل أساسي في النفس . . في المشاعر والسلوك والتصرف . . . وقلت لكم بأن النظرتين متاحتان لكل منكم . والذي يختار يكون في الوقت نفسه قد عبر عن حقيقته . الذي لا يستطيع ان يبدل نفسه . . ان يستخرج منها القوة الخلاقة الكامنة ليتغلب على ما فيها من استسلام فيختار النظرة الكمية - الزائفة - السطحية . والذي يختار النظرة الانقلابية يكون قد عبر عن نفسه، اذا كان جاداً في اختياره . واذا كان يعني ما يقول، فإنه مصمم على تبديل نفسه .

لذلك لا يصح ان تدخلوا الى الحزب وانتم منتظرون منه ان يعطيكم كل شيء . وان تكونوا منفعلين آخذين لاتعطون ولا تقدمون . لاتظنوا ان الحزب شيء موجود خارج نفوس اعضائه . فالحزب هو اعضاؤه . الحزب هو كل واحد منكم، وكما تكونوا يكن الحزب، وكما تريدوا ان يكون الحزب . . يكن . هذه النظرية هي اعتماد على شخصيات الاعضاء وعلى دافعهم الذاتي العميق، هي التي تضمن لحزبنا النمو . . ان يتغلب على الضعف، وان يرتقي ويقفز حتى يصل الى المستوى الذي يمكنه من تحقيق أهدافه وغاياته .

عام ١٩٥٠